الآراء الواردة في الصفحة تعبر عن وجهات نظر كتابها ، وقد لا تتفق بالضرورة مع وجهة نظر الجريدة

في الديناميكية والسكون

فالح عبد الجبار

كاتب

ثمة سكون مريب يستفز. يجيل المرء النظر فيما حوله، فيرى الرؤساء والزعماء انفسهم "لاصقين" على سدة الحكم عقودا. ويرنو الى شاشة التلفزيون فيرى مذيعي النشرات ومقدمي البرامج انفسهم صامدين يشيخون على الشاشة الصغيرة، وموظفين ثابتين يهرمون على طاولات البيروقراطية، ومدرسين يكررون الدرس نفسه منذ عقود واحيانا قرون. هذه الصور المستمدة من المؤسسات الحديثة هي نسخة طبق الاصل من دكان البزاز، ونول حائك السجاد اليدوي، ومطرقة نقاش النحاس مما نجده في الاسواق القديمة.

تنتصب هذه الاسواق معلماً على تراث كان وما يزال، نعمّده باسم الفنون الشعبية تارة، وباسم ابداعات التراث تارة اخرى. وان سر جمالها هو ديمومتها الساكنة، فهي تحافظ على ثباتها وسط عالم متغير. اما اسواق السياسة من رئاسات، ووزارات، وقادة وزعماء، فان ثباتها يكشف عن قبح عالمنا بما فيه من سكون قسري وسط عالم متغير.

هذا الوضع يذكرني ببوستر بولوني اخاذ عنوانه: البيروقراطية. وهو يصور طاولة قد تكون لمدير عام، او لوزير، او حتى لموظف عادي، لا شيء فوق الطاولة ما يلفت النظر. فهناك كدس اوراق، وملفات، وهناك ختم مما يستخدمه الاداريون لترك بصماتهم على الكتب والمراسلات الرسمية. كل شيء عادي، كل شيء مألوف عدا نقطة واحدة. ففوق الختم ينمو نسيج العنكبوت، وقاعدة الختم تحولت الى ضلف سائمة. يقول لك البوستر: هذا الختم لم يمس منذ دهر. انه عالم السكون المميت. لعل الفنان البولوني اراد به هجاء دولة الحزب البيروقراطية، التي جسدت اسوأ ما في العصر الزراعي: ثبات الملوك في عروشهم، ثبات النبلاء والاعيان في القابهم، ثبات الحرفيين في حرفهم، هذا العالم يشبه مدينة افلاطون الفاضلة التي يولد كل فرد فيها منتسباً الى حرفة، سيان ان كانت فلسفة او نجارة، فنون حرب، ام فنون ريازة.

كانت الفضيلة، في العهود الخوالي، تبدو ماثلة في تقسيم عمل ثابت يناسب مزاج الفرد، وهذا الاتفاق بين المزاج الفردي، وتقسيم العمل الاجتماعي انما يحققه الفيلسوف –الحاكم.

لكن فلسفة تقسيم العمل التي ولدت في عصر الصناعة الذي يربأ بأي سكون، تسخر من حلم افلاطون وتزدريه.

وهناك في الاقل ثلاثة موتيفات في هذه الفلسفة.

الموتيف الاول هو آدم سميث الذي رأى في تقسيم العمل وتشعبه قاطرة التقدم، بما يجلبه من زيادة في الثروات المكدسة. وان هذا "التكديس" او هذا " التخزين" المتصل هو سر تطور ورفاه المجتمع. ولاعجب ان يطلق ادم سميث على الرأسمال اسم "الخزين"، اي ما يختزن من عمل فائض في هيئة منتجات تفوق حاجة منتجيها.

اما الموتيف الثاني ويأتي من تلميذ آدم سميث وغريمه، كارل ماركس، الذي رأى ان تقسيم العمل قاطرة التقدم حقاً التي اوصلتنا الى المكننة (المصنع الآلي)، الذي اوصل تقسيم العمل الى مديات هائلة، مبسطاً اياه الى درجة اتاحت للنساء والاطفال دخول سوق الانتاج. ولكن تقسيم العمل هذا حوّل الحريف المبدع، الذي يبتدع منتوجاً كاملاً، الى مجرد اداة بشرية تختص بعمل جزئي، صغير، بل متناه في الصغر، ما حوّل المبدع الى كسرة من حطام انسان. هنا يغدو تقسيم العمل، من وجهة النظر الجديدة هذه، اداة تطوير للشيء (المنتوج) واداة انحطاط للذات (الانسان المنتج). صاغ ماركس حلماً عذباً في ان ينفك تقسيم العمل عن حاجات الربح، فتغدو الذات حرة في امتهان الموسيقى في الصباح، والفلسفة في الظهيرة، والتأليف في العشي. وقد طورت الفوردية فكرة سميث الى مديات هائلة أي فكرة الحزام الناقل، التي هجاها تشارلي تشابلن في فيلمه: العصر الصناعي. لكن مؤسسات التعليم الحديثة تطور نمطاً من التعليم يسمح بممارسة مهن عدة والانتقال من الواحدة الى الاخرى بيسر كبير. فالشركات والجيوش والادارات الحكومية تكاد تكون منظمة على غرار متقارب ما يسمح بانتقال نخبة محددة في الاقل من موقع الى آخر.

الموتيف الثالث في فلسفة تقسيم العمل يعود الى عالم الاجتماع الفرنسي دوركهايم الذي صنفه الى صنفين. اطلق دوركهايم على الاول اسم التضامن الميكانيكي، واطلق على الثاني اسم التضامن العضوي. وهذا الاخير يتمثل في وجود تقسيم عمل متشعب يقوم على الاختصاص، بحيث يكون كل فرد بحاجة الى اختصاص غيره، حاجة ماسة يتعذر معها الاستغناء عنه. هذا التضامن العضوي، اي المتداخل، الدفاق، هو نسيج وسبب تماسك الكيانات الحديثة التي تسمى واحدتها امة.

اتأمل في هذه الموتيفات الثلاثة واتساءل مع نفسي عن سر استمرار الرؤساء مدى الحياة، وسر بقاء الامناء العامين على رأس احزابهم حتى الممات، وبقاء المديرين في كراسيهم حتى تخطفهم المنون، واقول لعل حضارتنا تخشى ما يحف بالتغيير من غموض فتفضل الثبات. نقرأ كتب الفقه التقليدية فنراها ثابتة. نقلب صحائف الاطروحات في كليات اللغة العربية والشريعة، فنجد التكرار نفسه. ونطالع الايديولوجيات القومية واليسارية والاسلامية فنجد اصحابها يكررون مقولات من القرن التاسع عشر او بدايات القرن العشرين او من القرن الثامن، دون ان يجشم احد نفسه عناء الايضاح: هل بقيت شروط انتاج هذه المقولات على حالها دون تغيير؟ وإن كانت كذلك فهل ان مقولة التغيير كثابت وحيد مغلوطة مثلاً ؟

لا ريب ان العالم يتغير، بل يتغير بجنون. ولا ريب ان بمقدورنا انتاج افكار ثابتة تلغي هذا الواقع من مجال الادراك. فثمة اصناف اجتماعية تعيش في محيط مغلق قادر على تدوير افكار ثابتة. كما ان القدرة في استخدام اللغة استخداماً يديم الانفصال بين الدال والمدلول، او اقامة صلات وهمية بينهما، معروفة تماماً، وحقيقية تماماً. ان هذا التمازج بين هاتين الظاهرتين، اي وجود جماعات مغلقة، وامكانية انفصال منتجات الفكر عن العالم، وإن هذا التمازج هو احد منابع السكون والثبات ما نجده جلياً في البنى السياسية وفي طرق صياغتنا للبنى الفكرية. واذ تغتذي الواحدة من الاخرى، فاننا نجد انفسنا في حومة الدوران حول النفس، في خشية دائمة مما نصنع. بل اننا لا نلاحظ او نخشى ان نلاحظ "الجديد" الذي يفلت رغماً عن ارادتنا وينسلّ الى "القديم" الذي نتمسك بأهدابه. وهذه عملية تآكل مفيدة، لكنها بطيئة، مؤلمة، وفادحة الثمن.

نحن نخشى ديناميكية تقسيم العمل لسبب آخر، فنحن ننسب الى السكون والثبات قدسية خالصة، تضع التغير في مرتبة البدع المدنسة. نحن حضارة خائفة.

الفيدرالية بين بايدن والدستور العراقي

عباس الياسري

كاتب

لا بد من اجراء مقاربات فكرية وعقلية لكل ما يدور في المشهد العراقي وما يرتبط به اقليمياً ودولياً بواقعية تنظر الى الشأن العراقي كحزمة واحدة واخضاعها لمعايير صحيحة تبتعد عن العواطف والنيات المبيتة والتي تتعدى وتحت ظروف معينة وفي احيان كثيرة على العديد من ثوابت العملية السياسية الجارية منذ أكثر من اربعة اعوام وبتاريخ نضالي يمتد على مساحة واسعة من التاريخ العراقي الحديث لترسيخ الكثير من المفاهيم التي افتقدها الشعب العراقي في ظل تعاقب حكومات شمولية أمسكت بزمام هذا البلد.

هذه الثوابت اصبح المساس بها من الخطورة على مستقبل العراق ووحدته ومنها العملية السياسية وما تضمنته من انتخابات حرة ودستور دائم للبلاد يحدد هوية العراق على انه بلد فدرالي ديمقراطي تعددي وعلى اساس اختياري واعتبار الفيدرالية وهي من المفاهيم السياسية والنظم الادارية لتنظيم شؤون الحكم والتي تطبق في الكثير من بلدان العالم ومنذ اكثر من قرنين من الزمان وبعدما اتفق ساسة العراق على هذه المفاهيم واعتبار الفدرالية نوعاً من الارتباط السياسي ووعاء لدولة اتحادية بعيدة عن التقسيم وتكون ضامناً لوحدة العراق وضمن كل هذا دستور مكتوب من لجنة منتخبة وبتوافق جميع الاطراف السياسية صوت عليه الشعب واقره باستفتاء عام وتم بعدها اقرار مشروع الاقاليم بعد عرضه للتصويت في البرلمان.

والمقاربة التي نريد ان نجريها بين ما جرى في المشهد العراقي في مراحله السابقة وبين ما جرى التصويت عليه في مجلس الشيوخ الامريكي وموافقته على اقرار المشروع الذي تقدم به السيناتور الديمقراطي (جوزيف بايدن) وزميله الجمهوري (سام براونياك) ودعم من قبل نواب مرموقين مثل بار برايوكس وكيلي هاتشنيسون المقربة من الرئيس بوش ويهدف المشروع الى تقسيم العراق الى مناطق تتمتع بالحكم الذاتي ترتبط بحكومة اتحادية تنظم شؤونها وتأخذ على عاتقها القضايا السيادية وحتى مع تحقيق المشروع للأغلبية إلا انه غير ملزم لا للادارة الامريكية ولا للحكومة العراقية واذا ما تمت هذه المقاربات مع ما تضمنه الدستور العراقي بهذا الشأن نرى ان المسافة ليست ببعيدة بين الطرفين والسيناتور لم يأت بجديد عندما عرض مشروعه على المجلس ولكن الجديد الذي اتى به هو خطأ أمريكي آخر يضاف الى سلسلة اخطائهم التي صعبت السهل وعقدت المعقد وهو بذلك اعاد فتح النقاش في ملف تم حسمه من جميع الاطراف وهنالك خطوات متقدمة لتطبيقه ويمكن اضافة هذا الخطأ الى الاخطاء الستراتيجية الاخرى والتي أهمها اعلان دول محور الشر قبل الحرب ومحاولة اشعار حكومات المنطقة وبشكل صريح بان التجربة العراقية يمكن تسويقها لهم مما جعل الجميع يصطف لمحاربتها وسلسلة الاخطاء تطول.

وقبل المشروع كان موعد تقرير كروكر باتريوس والذي شل الحراك السياسي في العراق لشهور عديدة واربك العملية السياسية بالانسحابات العديدة التي كانت تأمل من التقرير اسقاط الحكومة والغاء العملية السياسية والعودة الى نقطة الصفر وما ان انتظم الجميع بحراك جديد لتعويض ما فات بعدما خاب املهم من التقرير اتى مشروع (بايدن) ليثير لغطاً بعيداً عما طرحه السيناتور ويعيد نقاشات عقيمة تم تجاوزها منذ فترة ليست بالقليلة، وبرغم ان كلمة (تقسيم) لم تورد في المشروع ولكن كعادته في قلب المفاهيم روج الاعلام وبعض الساسة لكلمة (تقسيم) في محاولة لاستثارة الخوف الغرائزي في العقل الجمعي العراقي وترهيب الناس فكرياً ودفع الناس للانقلاب على الفدرالية التي صوت عليها وجعل مصطلح فدرالية مرادفاً لمصطلح التقسيم ومن خلال هجمة منظمة ظاهرها ضد مشروع بايدن وباطنها ضد الفدرالية اخذ الخطاب يرتفع بدرجات منظمة ليتناسى المشروع ويركز هجوماً مباشراً على الفدرالية وبشكل مقصود وكالعادة ابتعد الكثير من الساسة عن موضوعة النقاش الرئيسية وتعداه للنيل من النظام الفدرالي ومشروع الاقاليم بل وصل الأمر الى جعل المشروع احراجاً للأطراف التي تنادي وتعمل من اجل تطبيق بنود الدستور ومنها الفدرالية ولا تعرف لماذا يكون محرجاً لهم..؟ ولو كان النقد ركز على ان المشروع تناول شأناً داخلياً اقره البرلمان قبل السيناتور او اعتباره يقترب في طرحه من الكونفدرالية أكثر من الفدرالية لكان يمكن تفهم دوافعهم وايجاد المبررات لهم وهذا ما لم نسمعه من اي طرف عراقي بل وجدها البعض فرصة لتشويه الفدرالية واعتبار ما اقره النواب في الدستور كان مقدمات مدنسة لمشروع بايدن (التقسيمي) وابتعد آخرون اكثر لربط الفدرالية في العراق بمشاريع امريكية ظهرت في بداية الثمانينيات من القرن المنصرم تدعو الى تقسيم المنطقة من خلال (سايكس بيكو) جديد.

الطروحات التي سمعناها والمقالات فيها لا تعطي الا انطباعاً واحداً وهو محاولات البعض قضم منجزات الشعب العراقي وابتلاعها والخطوة الاولى تبدأ بقبر الفدرالية في مهدها ولا تنتهي هذه الخطوات الا بالعودة الى ما قبل التاسع من نيسان ومع الاسف كل هذه الامور تسوق تحت شعار وحدة العراق ووحدة شعبه بلا تقديم مشاريع اخرى سوى العودة الى الدولة المركزية والانظمة الشمولية ولم يجرؤ أحد على تسليط الضوء على منجزات الدولة المركزية ليس في العراق وحده وانما في عموم المنطقة وبصراحة انها لم تحقق شيئاً سوى الحروب والمقابر الجماعية ومصادرة الحقوق والحريات وترك البلدان تعاني الفقر والامية وهذا ما تكشف عنه احصاءات المنظمات الدولية والمضحك المبكي عندما كانت تعد الدول الغنية لا يعد العراق وليبيا من ضمنها ولكن يوضعان ضمن خانة البلدان الفقيرة برغم مخزونهما النفطي الهائل، ولا احد يريد ان ينتبه الى ان الغاء المنجزات التي حققها الشعب العراقي والتعدي على ثوابته هو ما يدفع بالعراق الى الحرب الاهلية ومن ثم التقسيم ان لم يكن العراق اقرب للتقسيم منه الى الحرب الاهلية في حين يمكن تجاوز كل ذلك باتفاق سياسي هدفه الحفاظ على كل ما تحقق وعدم الغاء المنجزات وبالتالي يكون الجميع صادقاً في شعاراته في المحافظة على وحدة العراق وتجنيبه الحرب الاهلية والتي ما زال الجميع يتحاشاها ويدفع عن نفسه تهمة التحريض عليها ولكنها الحقيقة الثابتة التي يجب ان يراها الجميع ان تجاوز الدستور والغاء الفدرالية يعني بداية صراع وتصارع تتجاوز مدياته حدود العراق ويكون ساعتها الجميع قد اسس للتقسيم هروباً من الحرب الاهلية والتي ان وقعت لا سمح الله فسيكون الخاسر فيها مكونات الشعب العراقي وستدفع شعب كردستان للوقوف على الحياد حفاظاً على مكتسباته ومنها اقامة اقليم كردستان والابتعاد عن الدخول في اي صراع ترى القيادات الكردية انه يضر بالعراق والعراقيين وخسارة الجميع لمكتسباته وهذا ما يدفع لأخذ موقف الحياد وكما اعلن السيد مسعود البرزاني رئيس اقليم كردستان في أكثر من مناسبة، لذلك يمكن اعتبار النظام الفدرالي هو الضامن الوحيد لوحدة العراق وهذا ما لمسه الجميع من دور ايجابي لقيادات اقليم كردستان والتي تسعى جاهدة لتقريب وجهات النظر بين الفرقاء السياسيين وقد لاحظ الجميع كيف اقنعت القيادة الكردية شعبها بعدم جدوى الانفصال وهو الذي صوت بنسبة ٩٧٪ عند اجراء الاستفتاء حول تقرير المصير برغم وجود كل مقومات الانفصال من مؤسسات برلمانية وحكومة ومنظمات مجتمع مدني لكن السيد مسعود البارزاني وضح ان كل ما جرى ويجري من تقدم وبناء في كردستان هو محاولة تنظيم وليس انفصال وتثبيت الوضع الديمقراطي والتجربة الديمقراطية في الاقليم فعلى الاخرين تقديم التطمينات الى كل مكونات الشعب العراقي ودفعهم الى الالتصاق اكثر بالعراق لا تنفيرهم وجعلهم يفكرون جدياً بالانفصال.

مكونات الشعب العراقي بحاجة فعلية للتطمين بعدما عانى كثيراً من اعتبار الجغرافيا اهم من الانسان وعكس مفهوم هذه العبارة وجعل الانسان اهم من الجغرافيا وهذا لا يتحقق إلا بالفدرالية.

ليبمان و الأطفال الفلاسفة

د.رضا الموسوي

اكاديمي

اذا ما تمكنا من تقسيم المعارف الإنسانية الى قسمين الاول بسيط والثاني صعب فاننا بالتأكيد سنضع الفلسفة ضمن التقسيم الثاني لان التعامل الذهني مع الفلسفة يدخل الفرد مرحلة من الصراع بين المفاهيم اليسيرة والمفاهيم الجدلية ويتطلب من الفرد قابليات متعددة ولهذا فان مجرد طرح مفردة الفلسفة يؤدي الى تداعي مفهومها الصعب الى الذهن ولعل طرح موضوع تعليم الفلسفة للاطفال اكثر لامعقولية من لدن البعض.

واذا ما صرفنا النظر عن الجدل الدائر حول مخافة الفلسفة للتعاليم الدينية على اختلاف مشاربها بين مناصري ومخالفي الفلسفة فان الباعث الرئيسي لمعارضة تعليم الفلسفة للصغار تاتي من اعتقاد خاطيء يرى عدم توافر الظروف المناسبة لتعليم الفلسفة حتى للبالغين او الكبار. ان الرضوخ والإذعان لموضوع صعوبة مواضيع الفلسفة امر يحد من قدرات العقل الإنساني فالواقع لا يشير إلى هذا الأمر وجل ما في القضية ان الفلاسفة ومنذ ما يقارب الالفين وخمسمائة عام وضعوا حدودا وقواعد اعتبروها مفاتيح مهمة لتعليم الفلسفة ولم يحدث ان أوصى احد منهم بتعليم الفلسفة للاطفال لانهم وضعوها ضمن جدول المواد الصعبة التعلم، وكل ما اوصوا به إمكانية تعليمها أكاديميا وضمن المستويات العلمية، ولو قمنا بتتبع نظر العلماء الى الإنسان وقواه لرأينا انهم آمنوا بان قدرات الإنسان وقواه وفعالياته تتكامل بصور تدريجية وفقا لقانون النمو التابع للانسان وان لعنصر الزمان أهمية في نضج التعلم وتكامل الفهم وخلال حدود عمرية معينة يصل الانسان الى ارقى مستويات الفهم والاستيعاب ثم بعدها يدخل مرحلة عكسية يفقد فيها الكثير من قدراته على التذكر والاستيعاب مع وجود استثناءات في هذا الامر.

ان ما يشغل بال المهتمين هذه الأيام بنظريات التعلم وخاصة في مجال تعلم المفاهيم الفلسفية والأسئلة الاساسية هو ما يمتلكه الافراد من خصائص فطرية في التفكير وان التفكير مع وجود مثل هذه الخواص لايحتاج الى تعليم وانما يحتاج اكثر ما يحتاج الى اكساب مهاراته وان من الواجب والحال هذه تنمية مهارات التفكير لدى الافراد ولعل افضل مرحلة لمثل هذه التنمية مرحلة الطفولة وحتى في سنوات الصغر.

لقد توصلت بعض البلدان في العقود الثلاثة الاخيرة الى نتيجة مهمة مفادها ضرورة وحتمية تقوية القدرات الاستدلالية للاطفال والاحكام الخلقية لديهم ومن اجل الوصول الى هذه النتيجة ازداد الاهتمام ببعض جوانب الفلسفة وحظيت مفاهيم الاخلاق والمنطق باهمية بالغة، لكن السؤال الذي طرح نفسه هذه المرة حول الكيفية والماهية التي يتم بواسطتها تعليم الاطفال مثل هذه المواضيع.

وبالفعل قدم المهتمون بالتربية والتعليم الاجابة لهذا السؤال عن طريق تقوية قدرات الاطفال على الاستدلال والتأكيد على تقوية العقل ومهارات التفكير. فما دمنا قادرين على تعليم اطفالنا القراءة والكتابة بعدهما من المواضيع الادبية فبالضرورة نتمكن من تعليمهم الاستدلال والمحاججة السليمة وبشكل خاص حول الأسئلة الاساسية تحت مسميات ادبية.ان ما يجب اخذه بالحسبان في هذه المهمة الخطرة هو ان القائمين على تنفيذ هذا المشروع يرون ان الاطفال هم بطبيعتهم فلاسفة وان اهم ما يقدمه المعلم لهم في هذا المجال هو اعطاؤهم الفرصة للتعبير عن افكارهم العميقة بواسطة لغتهم البسيطة، اى رفع مستوى تفكيرهم وتقوية مفهوم الذات لديهم عن طريق صياغة كلمات وجمل مناسبة والاصغاء الى حواراتهم من أجل الحصول على تغذية مرتدة لافكارهم، وهذا ما يتطلب منا احاطة وعلما بعالم الاطفال لكي نقوم بصياغة الاحداث بطريقة واقعية تروى لهم وبعد ذلك تقسيمهم الى اكثر من مجموعة وفتح باب المناقشة حول الافكار والمثاليات والحقائق التي قدمتها هذه القصص.

ان اول من اسس ودعم بصورة رسمية مشروع تعليم الفلسفة للاطفال هو ماثيو ليبمان Mathio Lipeman احد اساتذة جامعة ولاية مونت كولر في نيوجرسي ومجموعة من معاونيه ومن بينهم السيدة مارغريت شارب Mar great Sharp من خلال طرح برنامجهم الفلسفة للاطفال الذين اطلقوا عليها ختصارا P4C ودعوا فيه الى امكانية تعليم مهارات التفكير الفلسفي للاطفال حتى مرحلة ما قبل المدرسة. لقد كان ليبمان ومعاونوه يرون ان بالامكان جعل الاطفال يتجاوبون مع هذا البرنامج في

صفوفهم وبرغم صغر سنهم واذا ما تم مثل هذا التجاوب فسيكون مجالا فعالا لانضاج المواهب الفلسفية التي وهبها الله لهم وبذلك تؤكد مهارات التفكير الفلسفي لديهم، وواضح جدا ان ليبمان قدم هذا البرنامج تحت تاثير سقراط وجون ديوي وشارلز بيرز.

ولكي يوفر ليبمان وجماعته لهذا المشروع النجاح قدموا للمعلمين العاملين عليه شروحا تجريبية ونصوصاً ارشادية خاصة به.

ومن الجدير ذكره هنا ان الكثير من المنظرين في مجالات هذا النوع من التعليم لم يقبلوا بطريقة ليبمان هذه واصروا على ان لاداعي لتقديم مثل هذه الشروحات وان المعلم هو الذي تقع عليه مهمة اختيار المواضيع او القصص التي يقدمها للتلاميذ في صفوفهم وجعلهم يركزون على اهم اجزائها وبشكل خاص مايثير حالات التساؤل لديهم بغية مناقشتها والاجابة عليها.ومع ان علم نفس النمو لم يهتم ولحد كبير بالتفكير الفلسفي في مرحلة الطفولة الا ان الباحثين في مجال شعر وقصة الاطفال ابدوا اهتماما بهذا الموضوع فلقد تم مؤخرا الاهتمام بالفلسفة الطفولية وعدها من الموضوعات التي تكتسب شرعية فقدمت توصيات لربطها ببقية الدراسات الفلسفية شأنها شأن فلسفة العلم وفلسفة التأريخ وفلسفة الدين. فكما ان فلسفة الفن تجاهد في سبيل الاجابة عن اهم الاسئلة المتعلقة بالفن وماهية افكار الناس حوله فان فلسفة الطفولة تعمل في سبيل الاجابة على اسئلة مهمة حول الطفولة والاستنباطات التي يحملها الناس في اذهانهم عن الطفولة وماتعنيه هذه الطفولة لهم.

في فلسفة الطفولة يتم طرح العديد من القضايا مثل النظريات المتعلقة بمفهوم الطفولة ونظريات النمو المعرفي والاخلاقي عند الطفل اضافة الى النظريات المتعلقة بحقوق الاطفال واهمية ومكانة الطفل بالمجتمع و نظريات فن وادب الاطفال والدراسات المقارنة حول معنى الطفولة في الثقافات المختلفة؛اذ يتم تحليل هذه النظريات كموضوع اكاديمي وبطريقة تناول فلسفية.

ان فلسفة الطفولة كانت ولوقت قريب مدمجة مع فلسفة التعليم الا ان الفلاسفة في الاونة الاخيرة زادوا وتيرة دراساتهم الاولية والجامعية حول مفهوم فلسفة الطفولة والادب الفلسفي الخاص بالطفولة كما ونوعا.

يحاول فيليب آريس philippe Aries في كتابه المثير للجدل /سنوات الطفولة / ان يفسر للقراءاتخاذ مفهوم الطفولة خلال القرون المختلفة مفاهيم تختلف عما نحمله الان في اذهاننا عنها و يرتبط ولحد كبير بالظروف التأريخية والثقافية التي تحيط بنا؛ الا ان الموضوع الذي يجب ان يطرح بطريقة فلسفية هو التغير المستمرلهذا المفهوم عبر السنين ولماذا اتخذت الطفولة مفاهيم مختلفة على اختلاف الثقافات.

ان آريس نفسه يعتقد بان اطفال القرون الوسطى كان ينظر اليهم على انهم (مسنون صغار) وهذا الاستنتاج يمكن التوصل اليه من خلال الرسوم المتبقية من القرون الوسطى الخاصة بطفولة السيد المسيح؛ ولكن (شولاميت شاهار ١٩٩٠) يرى خلاف هذه النظرية فهويؤكد ان مفكري القرون الوسطى كانت لديهم تعاريف كاملة لمراحل الطفولة

اننا نستخدم – في الاقل في الغرب – نفس مفاهيم الطفولة التي نادى بها ارسطوفالافراد في هذه الايام حتى وان لم يطلعوا على فلسفة الطفولة الارسطوية الا انهم يحملون نفس عقيدته

لقد كان ارسطو يرى ان الهدف النهائي لاي تنظيم حي من خلال فعالياته الوصول الى مرحلة من النضج ولذا فقد كان ينظر الى الطفل على انه نوع من الانسان غير البالغ تابع لمنظومة حية هي منظومة الانسان التي ستجعل منه تلقائيا بالغا من حيث البنية والشكل.

ان هذه النظرة الفلسفية الارسطوية كان لها عظيم الاثر في تشكيل جوهر العلاقة التي ينظر بها الكبار الى الطفولة هذه الايام فالكبار وانطلاقا من هذه الفلسفة يعون ان وظيفتهم تتطلب توفير محيط حماية للاطفال من اجل تحقيق كل المتطلبات التي تحول هذا الطفل الى كبير بصورة طبيعية وهنا تجدر الاشارة الى ان البلوغ الطبيعي للفرد هو النمو الذي يجب ان تتوفر له بنى بايلوجية ونفسية واجتماعية في ان واحد

لقد كان لهذه النظرة الفلسفية للطفولة في النصف الثاني من القرن الماضي أثرواضح في اكبر نظريتين ظهرتا في تلك الفترة؛ جاد بهما كل من فرويد ١٩٣٣ وجان بياجيه ١٩٥٠ حيث تجلت اهم الملاحظات التأريخية لفرويد حول مراحل النمو وتكامله اما بياجيه فقد اشار في آخر ادبياته عام ١٩٦٨ الى ان الطفل وخلال مسيرة نموه يمر بجملة من المؤثرات التي توسع من معارفه وتؤثر في تفكيره بصورة كبيرة.

اما الايدلوجية الثانية التي انتهلت من هذه الفلسفة الارسطية فهي النظرية التي ترى ان التطور والنمو في عمر الطفل تتم بصورة قابلة للتجزئة، ومن الواضح ان جذور هذه الايدلوجية تعود الى عقائد المفكرين القدامى وبالذات (النظرية المرحلية) التي يمكن ان نجد ها في االكتابات المتبقية من العصورالوسطى والفترة الحديثة كمؤلفات جان جاك روسو وخاصة كتابه (اميل)

لقد طرح بياجيه للمرة الاولى تصوراً علمياً ومعقداً لهذه النظرية التي ادت الى تغيير مبادئه الاصلية لفلسفة الطفولة في النصف الثاني من القرن العشرين وهذا ما اعطى مفاتيح اجوبة مهمة لكل الاسئلة الفلسفية التي نحملها حول الطفولة في اذهاننا

وكان لهذا المفهوم اثر مهم في تعيين مكانة حقوق للاطفال في المجتمع ودراسات علم نفس الطفولة وعلم انسان الطفولة وعلم اجتماع الطفولة وكثير من الجوانب العلمية الاخرى.

ادراك الطفل للعالم

لقد اعتقد رينيه ديكارت Rene Descartes ان العلم والمعرفة الدقيقة التي يمتلكها الفرد في عالمنا تنتج من مصادر داخل ذهنيته الذاتية (ديكارت ,١٩٨٥)؛ الا ان جون لوك كان ينظر الى الامور بخلاف ديكارت فكان يرى ان ذهن الانسان يشبه الورقة البيضاء وليس له اية نوع من الشخصية او الافكار (لوك ,١٩٥٩).

وطبقا لهذه النظرية فأن كل استدلال وعلم يكتسب انما هو نتاج للتجربةوبلا شك فأن نظرية لوك هذه كانت نوعاً من التموضع قبالة نظرية ديكارت في الوقت الذي كانت فيه نظرية ديكارت نوعاً من التموضع قبالة نظرية افلاطون.فالفلسفة الافلاطونية ترى ان التعلم هو تشكيل جديد لمحصلة من المعارف الموجودة مسبقا

واليوم فاننا نجد عددا قليلا من الفلاسفة يتفقون وبصورة كاملة مع التجريبية المتشددة التي نادى بها لوك او الذاتية المتشددة Innatism التي نادى بها افلاطون ومن بعده ديكارت

لقد فتحت السلوكية Behavorism المجال امام المنظرين في مجال التطور المعرفي دون الالتفات الى دور الذهنية وفقا لنظريات لوك للدفاع عن التجريبية لكن نظرية جومسكي حول السلوك اللغوي ساهمت في تخلف هذه النظرية السلوكية

فجومسكي ومن خلال نظريته كان يرى ان اكتساب اللغة لا يمكن ان يتم كما يرى السلوكيون بصورة تامة؛اما الحل الذي قدمه هذا المنظر فهو اللجوء الى نظرية قواعد اللغة العالمية Universal Grammer التي استوحاها من نظريات افلاطون وديكارت، ووفقا لهذه النظرية فان اللغة او حتى بناها المعرفية لها اسس ذهنية تمت تهيئتها مسبقا

لهذا كله كانت نظريات جان بياجيه شديدة الاثر في تفكير وابحاث علماء النفس والفلاسفة في مجال التطور المعرفي للاطفال

ان المؤلفات الاولية لبياجيه ومنها (ادراك الطفل للعالم ١٩٢٩) تؤيد صعوبة وتعقيدات العمل في علم نفس النمو ومنها النظريات التي قدمت بعد جان بياجيه في مجالات علم نفس النمو كنظرية هاي كريبه ١٩٨٥ ونظرية ولمن ١٩٩٠وكذلك نظريات فلاول ١٩٩٥ وسابوتسكي١٩٩٦ وكلمان ٢٠٠٣